

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (16)

شرح الكلمات:

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا: أي ألم يحن الوقت للذين أكثروا من المزاح.  
أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ: أي تلتن وتسكن وتخضع وتطمئن لذكر الله ووعده ووعيده.  
وما نزل من الحق: أي القرآن وما يحويه من وعد ووعيد.  
ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب: أي ولا يكونوا كاليهود والنصارى في الإعراض والغفلة.

من قبل فطال عليهم الأمد: أي الزمن بينهم وبين أنبيائهم.  
فقسّت قلوبهم: أي لعدم وجود من يذكرهم ويرشدهم فقسّت لذلك قلوبهم فلم تلن لذكر الله.  
وكثير منهم فاسقون: أي نتيجة لقساوة القلوب المترتبة على ترك التذكير والإرشاد ففسق أكثرهم فخرج عن دين الله ورفض تعاليمه.  
المعنى الإجمالي :

ألم يحن الوقت للذين صدّقوا الله ورسوله واتّبعوا هديّه، أن تلتن قلوبهم عند ذكر الله وسماع القرآن، ولا يكونوا في قساوة القلوب كالذين أوتوا الكتاب

من قبلهم -من اليهود والنصارى- الذين طال عليهم الزمان فبدّلوا كلام الله، فقسّت قلوبهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله؟ وفي الآية الحث على الرقة والخشوع لله سبحانه عند سماع ما أنزله من الكتاب والحكمة، والحذر من التشبه باليهود والنصارى، في قساوة قلوبهم، وخروجهم عن طاعة الله.

إنّما آية لا يقرأها مقصّر إلا ويراجع حساباته، ولا يسمعها غافل إلا ويستيقظ من غفلته، ولا يتدبرها مذنب إلا ويترك ذنبه

ان هذه الآية دعوة من الله - تعالى - أن ننظر إلى قلوبنا، ونفتش عن حالها مع الخشوع، لنسألها: أين الخشوع عند تلاوة القرآن؟ أين الخشوع عند ذكر الله - عز وجل -، أين الخشوع الذي يولد الانقياد الكامل لله رب العالمين. إن هذا القلب البشري سريع التقلب، سريع النسيان، وهو يشف ويشرق فيفيض بالنور، ويرف كالشعاع؛ فإذا طال عليه الأمد بلا تذكير ولا تذكر تبدل وقسا، وانطمست إشراقته، وأظلم وأعتم، فلا بد من تذكير هذا القلب حتى يذكر ويخشع، ولا بد من الطرق عليه حتى يرق ويشف؛ ولا بد من اليقظة الدائمة كي لا يصيبه التبدل والقساوة.

ولكن لا يأس من قلب خمد وجمد، وقسا وتبدل، فإنه يمكن أن تدب فيه الحياة، وأن يشرق فيه النور، وأن يخشع لذكر الله، فالله يحيي الأرض بعد موتها، فتنبض بالحياة، وتزخر بالبنت والزهر، وتمنح الأكل والثمار، كذلك القلوب حين يشاء الله.

أمور تقسي القلب:

1- الأعراض عن الذكر: قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: 124]. وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمن الذي يذكر الله والذي لا يذكر الله كالحمي والميت» (رواه البخاري).

2- التفريط في الفرائض: قال الله تعالى: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً} [المائدة: 13].

3- أكل الحرام: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنيّ يستجاب له» (رواه مسلم).

4- فعل المعاصي: قال تعالى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ} [المطففين: 14]. وورد في السنة أن العبد إذا أذنب نكت في قلبه نكته سوداء حتى يسود قلبه.

5- المجاهرة بالمعاصي: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «كل أمي معافي إلا المجاهرين» (متفق عليه). فالعبد إذا جاهر بالمعصية بارز الله واستخف بعقوبته، فعاقبه الله بفساد قلبه وموته، أما المستخفي الخائف من الله فهو قريب إلى الله.

6- الرضا بالجهل وترك التفقه بالدين: قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: 28]. فالجهل من أعظم أسباب القساوة وقلة الخشية من الله.

7- اتباع الهوى وعدم قبول الحق والعمل به: قال تعالى: {فَلَمَّا رَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [الصف: 5]. وقال تعالى: {ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [التوبة: 127].

8- النظر في كتب أهل البدع والتأثر بمذاهبهم: فإن الاشتغال بها يصرف المسلم عن الكتب النافعة، ويجرمه من الانتفاع بها. قال الشافعي: المرء في العلم يقسي القلوب، ويورث الضغائن.

9- الكبر وسوء الخلق: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر» (متفق عليه).

10- الاغترار بالدنيا والتوسع في المباحات: فالإكثار من ملذات الدنيا والركون إليها مما يقسي القلب وينسيه الآخرة، كما ذكر أهل العلم.

11- كثرة الضحك والانشغال باللهو: فإن القلب إذا اشتغل بالباطل انصرف عن الحق، وأنكره، واشتبه عليه. وفي الحديث: «إياك وكثرة الضحك؛ فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه» (رواه الترمذي).

12- مخالطة الناس وفضول النظر والطعام والنكاح: فالقلب يصدأ وتذهب حلاوته ويقلّ فيه الإيمان بالإكثار من ذلك.

أمور ترقق القلب وتزكيه:

1- المداومة على الذكر: قال تعالى: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: 28]. وشكا رجل إلى الحسن قساوة قلبه، فقال: أدنه من الذكر.

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم ( 311 )



هذا هو الحق



قوله من تفسير سورة الحديد

16

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

اعدها : عزمي إبراهيم عزيز

2- وجوب التذكير للمؤمنين والوعظ والإرشاد والتعليم خشية أن تقسوا قلوبهم فيفسقوا كما فسق أهل الكتاب ويكفروا كما كفروا.

### 3- فوائد الخشوع

- الخشوع يورث الخوف من الله تعالى.
- \*الخشوع دليل على حفظ الله لك من الذنوب والآثام.
- \*الخشوع نجاة من عذاب الله.
- \*الخشوع سبب لدخول الجنة بإذن الله تعالى.
- \*الخشوع دليل على الإقتداء بالأنبياء.
- \*الخشوع دليل على حلاوة العبادة لله تعالى.
- \*الخشوع دليل على ضعف الشيطان.
- \*الخشوع دليل العبودية الصادقة لله تعالى.
- \*الخشوع يملأ قلبك نوراً وأيماناً.
- 4- إن رقة القلوب وخشوعها وانكسارها لخالقها وبارئها منحة من الرحمن وعطية من الديان تستوجب العفو والغفران.
- 5- ما رق قلب لله عز وجل إلا كان صاحبه سابقاً إلى الخيرات مشمراً في الطاعات والمرضاة. ما رق قلب لله عز وجل وانكسر إلا وجدته أحرص ما يكون على طاعة الله ومحبة الله.
- 6- ما رق قلب لله عز وجل إلا وجدت صاحبه أبعد ما يكون عن معاصي الله عز وجل، فالقلب الرقيق قلب ذليل أمام عظمة الله.
- 7- ما رق القلب بسبب أعظم من سبب الإيمان بالله تبارك وتعالى. ولا عرف عبد ربه بأسمائه وصفاته إلا كان قلبه رقيقاً لله عز وجل.
- 8- أن البعد عن الله، وكثرة الذنوب والمعاصي، هي من أشد موجبات قسوة القلب.. وأن ذكر الله تعالى، والتقرب إليه بالأعمال الصالحة، يوجب رقة القلب واللين والخشوع، وهذا يتطلب توفيقاً من الله تعالى، لمن أخلص البنية وعزم على التوبة.
- والله اعلم
- وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

2- سؤال الله الهداية ودعاؤه: كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو «اللهم اهديني وسددني» (رواه مسلم).

3- المحافظة على الفرائض: قال الله تعالى: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [العنكبوت: 45].

4- تحري الحلال في الكسب وأداء الأمانة.

5- الإكثار من النوافل والطاعات: «ما يزال عبدي يتقرب لي بالنوافل حتى أحبه» (متفق عليه).

6- الجود والإحسان إلى الخلق.

7- تذكر الموت وزيارة القبور: قال أبو الدرداء: من أكثر ذكر الموت قلَّ فرحه وقل حسده. ويقول سعيد بن جبير رحمه الله: لو فارق ذكر الموت قلبي لخشيت أن يفسد علي قلبي.

8- الحرص على العلم ومجالس الذكر: قال الحسن: مجالس الذكر محبة للعلم وتحدث للقلوب خشوعاً.

9- الإكثار من التوبة والاستغفار، وعدم الإصرار على الذنب: قال ابن القيم رحمه الله: "صدأ القلب بأمرين: بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذكر".

10- النظر في سير العلماء وصحبة الصالحين: قال جعفر بن سليمان: كنت إذا وجدت من قلبي قسوة، غدت فنظرت إلى وجه محمد بن واسع.

11- الزهد في الدنيا والتأمل في قصرها وتغير أحوالها والرغبة فيما عند الله من النعيم.

12- زيارة المرضى وأهل البلاء ومشاهدة المحتضرين والاعتاظ بأحوالهم.

13- الإكثار من تلاوة القرآن بتدبر وتفهم وتأثر: قال الله تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَتَشَعَّرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} [الزمر: 23].

### الفوائد :

1- التحذير من الغفلة ونسيان ذكر الله وما عنده من نعيم وما لديه من نكال وعذاب.